سلسلة الدروس (١٧)

مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٥هـ

شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد

تأليف
العلامة الشيخ
عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى
(١١٩٣ - ١٢٨٥هـ)

الشيخة
أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

❐أسئلة وأجوبة الدرس (١٢)❐

١. ما هي أدلة متن: باب الخوف من الشرك؟

قال تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقال تَعَالَى: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾، وحديث محمود بن لبيد عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، فسئل عنه فقال: «الرياء». وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار» رواه البخاري. عن جابر أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار».

٢. ما هو الند؟

الشبيه والنظير.

٣. قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ من أدلة الخوف من الشرك فمن أي ناحية؟

لأن الشرك ذنب لا يغفره الله، ولا يأمن أحد على نفسه من الوقوع من الشرك.

٤. قوله تَعَالَى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ما معناه؟

أي: يغفر ما دون الشرك الأكبر.

٥. أعظم الافتراء والكذب ما هو؟

الشرك بالله.

٦. في هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾،

رد على طائفتين منحرفتين فمن هما؟

الخوارج والمعتزلة حيث جعل الله الذنوب التي دون الشرك تحت مشيئته، وهم يقطعون له بالخلود في النار.

٧. ما جواب الخوارج والمعتزلة عن هذه الآية؟

يقولون: الآية في التائب، وهذا باطل؛ لأن الذي يتوب من الذنوب يكفر الله عنه، سواء كانت شركًا أو كبائر أو دون ذلك ﴿۞قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

٨. ما قول أهل العلم في الشرك الأصغر هل يغفره الله؟

بعض أهل العلم على أن الشرك الأصغر لا يغفره الله، وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه اختلف قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه المسألة فمرة جعله لا يغفره الله، ومرة أخرى جعله مما يغفره الله.

أما ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإنه على قول الجمهور، وأن الشرك الأصغر مما يغفره الله.

٩. ما هي الأصنام وما هو الوثن؟

الصنم: ما كان منحوتًا على صورة، والوثن: ما كان موضوعًا على غير ذلك، هذا إذا اجتمعا، أما إذا انفردا شمل كل واحد منهما الآخر.

١٠. ما هي الأصنام التي كان يعبدها قوم إبراهيم؟

كانوا يعبدون الكواكب كما في سورة الأنعام.

١١. ماذا قال الحافظ ابن كثير في قوله تَعَالَى: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾؟

أنه ينبغي أن يدعو لنفسه وذريته ووالديه أن الله يجنبهم الشرك.

١٢. الرياء من أي أنواع الشرك؟

من الشرك الأصغر.

١٣. هل يمكن أن يكون الرياء شركًا أكبر؟

قد يصل إلى الشرك الأكبر؛ ولهذا ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقيد ويقول: كيسير الرياء، فإذا كثر الرياء وغلب يكون شركًا أكبر، أو اكتمل فيه الرياء هذا من صفات المنافقين.

١٤. ما هو الذي أقر به المشركون؟

توحيد الربوبية.

١٥. إلى كم ينقسم اتخاذ الند؟

شرك أكبر: وهو مساواة غير الله بالله فيما هو خاص بالله. وشرك أصغر وهو: ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر.

١٦. أريد دليلًا على أن دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر؟ ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨﴾ [يونس: ١٨].

١٧. من عقيدة أهل السنة والجماعة أن من مات على التوحيد دخل الجنة، فهل من أدلة؟

قول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»، وروى البخاري (٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَنْ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى

الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ». وعَنْ عُثْمَانَ بن عفان، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» رواه مسلم (٢٦)، وروى البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ.

١٨. أريد بعض الأدلة أن من مات مشركًا فإن الجنة عليه حرام؟

قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار»، وقوله: «إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ»، وقول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾، وحديث ابن مسعود: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار».

١٩. هل الكافر يرحمه الله في الآخرة؟

المشرك في الآخرة لا يناله من الله رحمة ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

وفي الدنيا قد يرحمهم الله رحمة دنيوية بإعطاء العافية والولد والرزق؛ مجازاة له على بعض

أعماله فيطعم بها في الدنيا.

٢٠. أريد دليلًا على أن اليهود والنصارى كفار؟

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة: ٦].

٢١. من مات وكان صاحب كبيرة وكان مصرًّا فما حكمه؟

تحت مشيئة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٣)

قَالَ الشيخُ عَبدُ الرَّحمَنِ بنُ حَسَنَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبدِ الوَّهَابِ بنِ سُلَيمَانَ التَّمِيمِيُّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ:

باب الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله

ش/ لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ التوحيدَ وفضلَه، وما يوجب الخوف من ضده، نبَّه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه، بل يجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة(١)، كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم، كما قال الحسن

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) هذا الباب في الدعاء إلى شهادة لا إله إلا الله، فبعد أن ذكر المصنف الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضائل التوحيد ومن حقق التوحيد، وجزاء من حقق التوحيد، نبَّه بهذه الترجمة على أن من تعلم التوحيد عليه أن يدعو إلى الله، وأن يعلم الناس التوحيد، ويحذرهم من الشرك ووسائل الشرك، فلا يقتصر على نفسه، فهذا من الخطأ، الله عَزَّ وَجَل يقول: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١-٣]، فذكر سُبحَانَهُ أن الإنسان في خسر إلا من آمن وعمل صالحًا وعلم ودعا إلى الإسلام، ووصى بالصبر، فالعلم لا يكون للنفس فقط، يعلم أولاده، يعلم أسرته، يعلم أقرباءه، يعلم في مجالسه، وينشر التوحيد والدين، وهذا من الرحمة بالناس والشفقة عليهم، وقد قال تَعَالَى:

البصري لما تلا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾(٢)، فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله(٣)، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(٢)قوله سُبحَانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، يُذكر في تفسير هذه الآية أثر الحسن البصري، وسنده ضعيف.

قال الشيخ ابن حزام في حاشية «فتح المجيد»(١٤٦): ضعيف أخرجه عبدالرزاق في «تفسيره»(٢/١٨٧) عن معمر عن الحسن عند هذه الآية، ومعمر لم يسمع من الحسن، ذكر ذلك أبو حاتم كما في «جامع التحصيل»، فالأثر ضعيف. اهـ.

وفي هذه الآية: أنه لا أحسن ممن اجتمعت فيه ثلاث خصال: الدعوة إلى الله، العمل الصالح، اتخاذ الإسلام دينًا.

فالدعوة إلى الله شأنها عظيم، وهي طريقة الأنبياء والمرسلين، وطريق أتباعهم الصالحين، قال الله تَعَالَى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

(٣) قال الزجاج في «معاني القران»(١/٣٩٩): فيه ثلاث لغات: صَفْوة وصِفْوة وصُفوة، وهم من لا دنس فيهم من جهة من الجهات في الدِّين والخيريَّة.

إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال: ﴿إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾، هذا خليفة الله (٤).

---

(٤)حكم قول: خليفة الله لولي الأمر، وللعالم، فيه ثلاثة أقوال:

من أهل العلم من قال بالجواز، واستدلوا بأدلة مثل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله : ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل: ٦٢]، ونحو ذلك من الأدلة.

ومنهم من منع، قالوا: لأن الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو غيبة، ويكون لحاجة المستخلف، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ منزَّهٌ عن ذلك؛ فهو حي قيوم شاهد لا يغيب، فكيف يكون خليفة لله؟!

وهذا ذهب إليه الشيخ الألباني في « الضعيفة »(٨٥)، وقبله شيخ الإسلام.

وفَصَّل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مفتاح دار السعادة» (٤٣٠) في هذه المسألة وقال: إن أريد بالإضافة إلى الله أنه خليفةٌ عنه، فالصوابُ قولُ الطائفة المانعة منها.

وإن أريد بالإضافة أن الله استخلفه عن غيره ممَّن كان قبله، فهذا لا يمتنعُ فيه الإضافة، وحقيقتُها: خليفةُ الله الذي جعله اللهُ خَلَفًا عن غيره. اهـ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (٥).

ش/قال أبو جعفرٍ ابن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قل: يا محمد، هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته، وترك معصيته، ﴿سَبِيلِى﴾ طريقتي ودعوتي، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ تعالى وحده لا شريك له، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ بذلك ويقين علم مني به، ﴿إِنَا۠﴾ ويدعو إليه على بصيرة أيضًا، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ وصدقني وآمن بي، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾، يقول له تعالى ذكره: وقل: تنزيها لله تعالى وتعظيمًا له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾، يقول: وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم

فلا يصح أن يقال: خليفة الله على معنى أنه خليفة عن الله، وإنما بمعنى أن الله جعله خَلَفًا عن غيره.

(٥) قوله تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مدارج السالكين»(١/ ١٤٣): فَالْبَصِيرَةُ مَعْنَاهَا: نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، يَرَى بِهِ حَقِيقَةَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ الرُّسُلُ، كَأَنَّهُ يُشَاهِدُهُ رَأْيَ عَيْنٍ، فَيَتَحَقَّقُ مَعَ ذَلِكَ انْتِفَاعُهُ بِمَا دَعَتْ إِلَيْهِ الرُّسُلُ، وَتَضَرُّرُهُ بِمُخَالَفَتِهِمْ.

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «فتح القدير»(٣/ ٧١): وَالْبَصِيرَةُ: الْمَعْرِفَةُ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

مني. انتهى.

قال ابن القيم في «شرح المنازل»: يريد أن تصل باستدلالك إلى أعلى درجات العلم، وهي البصيرة التي تكون نسبة العلوم فيها إلى القلب كنسبة المرئي إلى البصر(٦)، وهذه

---

(٦) نستفيد من كلام ابن القيم:

فضل البصيرة.

أن البصيرة أعلى درجات العلم.

أعلى درجات العلماء.

أنها بمعنى اليقين؛ فلهذا كأنه يشاهد ما جاء في الأدلة وما جاء من الأمور الغيبية والأخبار المتقدمة بعينيه.

ومن حيث تعريف البصيرة هي: قال الله قال رسول الله؛ لهذا قال الإمام الشوكاني: وَالْبَصِيرَةُ: الْمَعْرِفَةُ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ.

وذكر الراغب الأصفهاني في «مفردات القرآن»(٤٩) الشيء الذي يُطلق عليه بصر، فقال:

البصر يقال للجارحة الناظرة-أي: العين-، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[القمر: (٥٠)]، ﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ [الأحزاب: ١٠].

وللقوة التي فيها.

ويقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر، نحو قوله تعالى: ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾[ق:٢٢]، وقال: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧)﴾[النجم:١٧]، وجمع البصر أبصار، وجمع البصيرة بصائر. اهـ.

فاستفدنا: أن البصر يطلق على كلٍ من الآتي:

حاسة البصر.

قوة البصر، وهي: قوة الرؤية بالعين.

وعلى قوة القلب المدركة: أي الواعية، يقال: بصيرة وبصر ويقال: عنده نظر ثاقب.

فالبصر والبصيرة يطلقان على بصر القلب الحي المستنير. قال تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) ﴾[الحج].

ومن ابتُلي بذهاب بصره، وعنده بصر في قلبه، نور يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده، يقال له: بصير.

نسأل الله أن يرزقنا البصيرة، ونعوذ بالله من عمى البصيرة، قد يكون الإنسان يبصر بعينيه ولكنه أعمى البصيرة، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]، وهذا هو أعمى القلب وأعمى البصيرة.

والذنوب لها ضرر على رزق البصيرة، يقول النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]}. رواه الترمذي (٣٣٣٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو في «الجامع الصحيح» (١٤٣٠) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن نصائح والدي رَحِمَهُ اللَّهُ التي استفدناها منه لطالب العلم: وأنت يا طالب العلم أحق بالاستقامة حتى لا تطمس بصيرتك. اهـ.

هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الأمة، وهي أعلى درجات العلماء.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾

أي: أنا وأتباعي على بصيرة (٧).

وما أشد ضرر إطلاق البصر إلى الأجانب والأجنبيات على البصيرة ونور القلب.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير سورة النور رقم الآية(٣٠) في غض البصر: ﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ أَيْ: أَطْهَرُ لِقُلُوبِهِمْ وَأَنْقَى لِدِينِهِمْ، كَمَا قِيلَ: مَنْ حَفِظَ بَصَرَهُ أَوْرَثَهُ اللَّهُ نُورًا فِي بَصِيرَتِهِ، وَيُرْوَى: فِي قَلْبِهِ.

وهذه مقالة مشهورة- ومعناها صحيح مأخوذ من هذه الآية-: أن مَنْ حفظ بصره وضع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النور في قلبه، ورزقه البصيرة، وهذا يُفهم منه أن من لم يحفظ بصره يظلم قلبه ويفسد، وتعمى بصيرته.

نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

(٧) هذا قول، والقول الثاني أن قوله سُبحَانَهُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨] معطوف على الضمير المستتر في ﴿أَدْعُو﴾، والمعنى: أنا أدعو إلى الله على بصيرة ومن اتبعني كذلك، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعلى القولين فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر.

وأما غير أتباعه فليسوا أهل بصيرة يتبعون أهواءهم ويتخبَّطون، ويبتدعون، وكل يوم وهم يزدادون جهلًا وبُعدًا عن الحق، ومثل هؤلاء كيف يقودون الدعوة؟!

وقيل: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ عطف على المرفوع في ﴿أَدْعُوٓاْ﴾ أي: أنا أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني كذلك يدعو إلى الله تعالى على بصيرة.

وعلى القولين: فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلى الله تعالى، ومن ليس منهم (٨) فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى(٩).

قال والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا كان الجهال هم الذين يقودون الدعوات فأبشر بنكسات الدعوات. في «تحفة المجيب» (١٨٣).

وفي الآية من الفوائد: أن الدعوة الصحيحة لا تقوم إلا على علم.

وفيه كما قال الشوكاني في «فتح القدير» (٣/ ٧١): دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مُتَّبِعٍ لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ فِي الدعاء إلى الله، أي: الدعاء إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالْعَمَلِ بِمَا شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ. اهـ.

نسأل الله سُبحَانَهُ أن يرزقنا العلم النافع والدعوة إليه، وأن يرزقنا حسن المتابعة، وأن يعيذنا من الانحراف والابتداع.

(٨) أي: ليس من أتباع النّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾. [آل عمران: ٣١].

(٩) وهذا كثير، الاتباع مجرد دعوى وانتساب، يقول: أنا سني، وهو من أهل البدع، أو حزبي، أو فاسق منحرف، مثل: دعوى الفرقة الناجية، كلٌ يدعي أنه من أهل الفرقة

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه مسائل:

منها: التنبيه على الإخلاص(١٠)؛ لأن كثيرًا ولو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه(١١).

ومنها: أن البصيرة من الفرائض (١٢).

ومنها: أن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه لله تعالى عن المسبة (١٣).

الناجية، فالدعاوى كثيرة، وإنما يعرف هذا بالاستقامة، بالتمسك بالسنة، هذه هي المتابعة الحقيقية الموافقة لهدي النّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

والدعاوى ما لم تقيموا عليها .. بينات أهلها أدعياء

(١٠) هذا من استنباطات المصنف، وسيأتي إن شاء الله.

وهو مأخوذ من قوله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، فلا يدعو إلى مذهب ولا إلى آراء أو تقليد، أو يدعو إلى هوًى في نفسه هذا لا يكون لله، أو دعا إلى شيخه؛ لأنه يعظمه.

(١١) قد يدعو إلى الحق، وإلى السنة والتوحيد، يدعو إلى المتابعة، وينشر الدين، ولكنه يدعو إلى نفسه، مثلًا: من أجل تكثير الأتباع، أو من أجل الشهرة أو السمعة، مع أنه يدعو إلى الحق لكن ما أخلص في دعوته.

(١٢) مأخوذ من قوله تَعَالَىٰ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فالبصيرة من الفرائض؛ لأن هذه طريقة الأنبياء وأتباعهم.

(١٣) مأخوذ من قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

ومنها: أن من قُبحِ الشرك كونه مسبة لله تعالى [١٤].

ومنها: إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم ولو لم يشرك[١٥]. اهـ.

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في معنى قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ الآية: ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإنه إما أن يكون طالبًا للحق محبًّا له، مُؤثِرًا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال. وإما أن يكون مشتغلًا بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب. وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يُجَادَل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجلاد[١٦] إن أمكن [١٧]. انتهى.

---

(١٤) الشرك من قبائحه أنه مسبة لله وتنقص لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

(١٥) في قوله سُبحَانَهُ: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فينبغي أن يبتعد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير في الظاهر أنه منهم.

(١٦) القوة والشدة.

(١٧) هذه مسألة مهمة في مراتب الدعوة، وأنه ينظر إلى حال المدعو ومصلحته:

(فإنه إما أن يكون طالبًا للحق محبًّا له، مُؤثِرًا له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال) فإن كان المدعو مريدًا للحق فإذا عرف الحق انقاد واستسلم فهذا يدعى بالحكمة، أي: بالرفق، ولا يحتاج إلى موعظة وجدال.

وقال أيضًا[١٨] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والفرق بين حُب الإمامة، والدعوة إلى الله، وحب الرياسة: هو الفرق بين تعظيم أمر الله والنصح له، وتعظيم النفس والسعي في حظِّها[١٩]؛ فإنَّ الناصح لله المحب له يحب أن يُطاع ربُّه فلا يُعصَى، وأن تكون كلمته هي العلياء وأن

والثاني: (وإما أن يكون مشتغلًا بضد الحق، لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب) أن يكون مشتغلًا بالشبهات أو بالمعاصي لكن لو عرفه، أي: عرف الحق آثره واتبعه، فهذا تكون دعوته بالموعظة بالترغيب والترهيب، الترغيب يذكره بالفضائل، والترهيب يذكره بالوعيد والتخويف.

الثالث: معاند معارض للحق هذا يجادل بالتي هي أحسن، قال الله تَعَالَى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله: (إن أمكن) فإن رجع إلى الحق وإلا انتقل معه إلى الجلاد إن أمكن، حسب المصلحة، إذا كان يؤدي القوة والشدة في التعامل معه إلى فتنة فيجتنب؛ لأن المقصود مصلحته، والأصل في الدعوة الرفق واللين، قال الله تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

(١٨) أي: ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذه مسألة في الفرق بين حب الإمامة في الدين والدعوة إلى الله وحب الرئاسة الدنيوية: أن حب الرئاسة الدينية يريد منها تعظيم الله سُبحَانَهُ، وتعظيم أمره، والنصح لدينه، وأيضًا يريد إعلاء كلمة الله سُبحَانَهُ.

(١٩) الحظ: النصيب.

يكون الدين كله لله، وأن يكون العباد ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه، فقد ناصح الله في عبوديته، وناصح خلقه في الدعوة إلى الله، فهو يحب الإمامة في الدين، بل يسأل ربه أن يجعله للمتقين إمامًا يقتدي به المقتدون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعين الناس جليلًا، وفي قلوبهم مهيبًا، وإليهم حبيبًا، وأن يكون فيهم مُطَاعًا؛ لكي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يديه؛ لم يضره ذلك، بل يُحمد عليه؛ لأنه داع إلى الله يحب أن يُطاع ويُعبد ويُوحَّد؛ فهو يحب ما يكون عونًا على ذلك، موصلًا إليه (٢٠).

ولهذا ذكر الله سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه، وأثنى عليهم في تنزيله، وأحسن

---

(٢٠) هذا يفيدنا أن حب الإمامة في الدين مشروع ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤]، فيسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يجعله من المتقين الذين يُقتدى بهم كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا الشخص أن يكون له شأن في قلوب المخلوقين؛ من أجل أن يتأثروا بدعوته، وأن ينقادوا له فهذا ليس فيه شيء، قال: (لن يضره ذلك بل يحمد عليه).

أما محب الرئاسة الدنيوية فليس هذا قصده، يدعو لتعظيم نفسه، وإلى مصالحه الدنيوية، ويريد أن يستعبد الناس، فهذا الصنف ما جزاؤه؟ سيأتي في آخر الكلام أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجازيهم بنقيض قصدهم يوم القيامة، ويحشرون في صفة الذر يوم القيامة، نسأل الله العافية.

جزاءهم يوم لقائه، فذكرهم بأحسن أعمالهم وأوصافهم [٢١]، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا﴾، فسألوه أن يقر أعينهم بطاعة أزواجهم وذرياتهم له سبحانه، وأن يُسِرَّ قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته، وعبوديته؛ فإن الإمام والمؤتم [٢٢] متعاونان على طاعته، وإنما سألوه ما يعاونون به المتقين على مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين التي أساسها الصبر واليقين [٢٣]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾.

فسؤالهم أن يجعلهم أئمة للمتقين؛ هو سؤال أن يهديهم، ويوفقهم[٢٤]، ويمن عليهم بالعلوم النافعة، والأعمال الصالحة ظاهرًا وباطنًا، التي لا تتم الإمامة إلا بها [٢٥].

---

(٢١) يشير إلى الآيات التي في صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣] الآيات.

(٢٢) المؤتم: المقتدي. فالإمام والمقتدي يتناصران على طاعة الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وفي الخير.

(٢٣) واليقين والصبر أساس الإمامة في الدين. قال تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

(٢٤) هذا يشتمل عليه هذا الدعاء، فمن دعا أن الله يجعله للمتقين إمامًا، فهو داعٍ لله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يوفقه ويهديه للخير وللعلوم النافعة.

(٢٥) تقدم أن أساس الإمامة: الصبر، واليقين.

وتأمل كيف نسبهم في هذه الآيات إلى اسم الرحمن جَلَّجَلَالُهُ(٢٦)؛ ليعلم خلقه أنَّ هذا إنما نالوه بفضله ورحمته، ومحض (٢٧) جُوده ومنته(٢٨).

وتأمل كيف جعل جزاءهم في هذه السورة الغرف (٢٩)، وهي المنازل العالية في الجنة (٣٠).

ولما كانت الإمامة في الدين من الرُّتب العالية(٣١)، بل من أعلى مراتب يعطاها العبد في

---

(٢٦) يشير إلى قوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣].

(٢٧) أي: خالص جوده.

(٢٨) هذه مسألة في ذكر اسم الرحمن هنا دون غيره من أسماء الله عَزَّ وَجَل؛ ليعلم الخلق أن هذا ما نالوا إلا بفضل الله ومنته ورحمته وإحسانه وكرمه، فسبحان الله الحكيم العليم الخبير يذكر أسماءه في موضعها!

وهذا كقوله تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)﴾[الفاتحة]. أي: أن الله مع ربوبيته وملكه وخلقه هو موصوف بالرحمة.

وكقوله تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: ٥]، أي: أن الله مع علُوِّهِ رحيم بخلقه.

(٢٩) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥].

(٣٠) هذا تفسير الغرف.

(٣١) أي: الإمامة في الدين من المنازل العالية.

الدنيا؛ كان جزاؤه عليها الغرف العالية في الجنة.

وهذا بخلاف طلب الرياسة؛ فإنَّ طالبيها يسعون في تحصيلها؛ لينالوا بها أغراضهم من العلو في الأرض، وتعبد القلوب لهم وميلها إليهم، ومساعدتهم لهم على جميع أغراضهم؛ مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم.

فترتب على هذا الطلب من المفاسد ما لا يعلمه إلا الله: من البغي، والحسد، والطغيان، والحقد، والظلم، والعصبية، والحميَّة للنفس دون حق الله، وتعظيم من حَقَّر الله، واحتقار من أكرمه الله.

ولا تتم الرياسة الدنيوية إلا بذلك، ولا تنال إلا به وبأضعافه من المفاسد(٣٢)، والرؤساء

هذه من أعلى مراتب ما يعطى العبد في الدنيا الإمامة في الدين.

(٣٢) وهذا فيه ذم مبتغي الرئاسة الدنيوية، وقد بيَّن هنا مقاصدهم للرئاسة، ومن ذلك: أن يستعبدوا الناس، وأن يكون لهم الجاه والمنصب، وأن يكون غيرهم تحت أيديهم، ويعظِّمُون من حقَّر الله، يعظمون مثلًا: الكفار والعصاة، ويحتقرون من أكرمه الله من العلماء والأخيار والفُضلاء.

فالرئاسة الدنيوية لا تتم إلا بهذه المساوئ وبأضعافها، وكذا الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين، وشتان بينهما!

في عمى عن هذا [٣٣]، فإذا كُشِفَ الغطاء[٣٤]؛ تبين لهم فساد ما كانوا عليه، ولاسيما إذا حُشروا في صفة الذَّرِّ يطؤهم أهل الموقف بأرجلهم؛ إهانة لهم، وتحقيرًا وتصغيرًا، كما صغَّروا أمر الله وحقَّروا عباده. انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣٥].

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله-وفي رواية: إلى أن يوحدوا الله-فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم

---

(٣٣) وفيه حديث «حبك الشيء يعمي ويصم» والحديث ضعيف، لكن معناه صحيح.

(٣٤) هذا يوم القيامة، قال تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢].

(٣٥) رواه أحمد (٦٦٧٧)، والترمذي (٢٤٩٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ»، والحديث حسن.

الجزاء من جنس العمل، احتقروا الخلق واستصغروهم، فيجازيهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوم القيامة باحتقارهم وإذلالهم وإهانتهم، ثم يدخلون سجنًا في جهنم.

فيا مصيبة المتكبرين!

أعاذنا الله وإياكم من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أخرجاه.

ش/قال الحافظ: كان بَعثُ معاذ إلى اليمن سنة عشر، قبل حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما ذكره المصنف – يعني: البخاري–في أواخر المغازي. وقيل: كان ذلك في آخر سنة تسع عند منصرفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تبوك، رواه الواقدي بإسناده إلى كعب بن مالك [٣٦]. وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» عنه [٣٧].

واتفقوا على أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم في خلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم توجه إلى الشام فمات بها.

قال شيخ الإسلام: ومن فضائل معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه إلى اليمن مبلِّغًا عنه، ومفقِّهًا ومعلِّمًا وحاكمًا.

قوله: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب» قال القرطبي: يعني به: اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا في اليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب.

---

(٣٦) هذا من طريق الواقدي وهو متروك، وهذه الرواية لا تعارض أن بَعْثَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ معاذًا كان سنة عشر.

(٣٧) أي: عن الواقدي، وهذا مما عيب على ابن سعد أنه أخرج كثيرًا عن الواقدي في «الطبقات».

وإنما نبه على ذلك؛ ليتهيأ [٣٨] لمناظرتهم.

وقال الحافظ: هو كالتوطئة للوصية؛ ليجمع همته عليها [٣٩].

قوله: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»

«شهادة» رفع على أنه اسم «يكن» مؤخر، و«أول» خبرها مقدم، ويجوز العكس [٤٠].

قوله: وفي رواية: «إلى أن يوحدوا الله» هذه الرواية ثابتة في كتاب التوحيد من «صحيح البخاري»، وأشار المصنف بذكر هذه الرواية إلى التنبيه على معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ فإن معناها: توحيد الله بالعبادة ونفي عبادة ما سواه. وفي رواية: «فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله»، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾.

---

(٣٨) ليستعد لمناظرتهم، وهذا فيه استعداد الداعي إلى الله بالعلم ومعرفة أحوال المدْعُوِّين؛ ليناقشهم في باطلهم وشبههم.

(٣٩) فيه تخصيص أهل الكتاب، أجيب عن هذا أن أهل الكتاب كانوا في اليمن في ذلك الوقت أكثر من مشركي العرب.

(٤٠) هذا إعراب «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة» أن «أول» مرفوع على أنه اسم «يكن»، و«شهادة» تنصب على أنها خبر «يكن»، ويجوز العكس أن أول منصوب خبر مقدم، وشهادة مرفوع اسمها مؤخر.

والعروة الوثقى هي: «لا إله إلا الله» (٤١).

وفي رواية للبخاري فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» (٤٢).

قلت: لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها:

أحدها: العلم المنافي للجهل.

الثاني: اليقين المنافي للشك.

الثالث: القبول المنافي للرد.

الرابع: الانقياد المنافي للترك.

الخامس: الإخلاص المنافي للشرك.

السادس: الصدق المنافي للكذب.

السابع: المحبة المنافية لضدها (٤٣).

---

(٤١) وبعضهم قال: العروة: الوثقى الإسلام، ومنهم من قال: القرآن، ومنهم من قال: أن يحب في الله ويبغض في الله، ولا منافاة بين هذه الأقوال كما ذكر هذا المعنى الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤٢) هذا فيه جمع روايات ألفاظ الحديث؛ لأن ألفاظ الحديث يفسر بعضها بعضًا، فشهادة (لا إله إلا الله) من تفاسير ألفاظها: «إلى أن يوحدوا الله».

(٤٣) هذه شروط (لا إله إلا الله)، وقد جمعت في بيتَين:

عَلْمٌ يَقِينٌ وَإِخْلَاصٌ وَصِدْقُكَ مَعْ... مَحَبَّةٍ وَانْقِيَادٍ وَالقَبُولِ لَهَا

وزيد ثامنها الكفران منك بما...سوى الإله من الأوثان قد ألها

وفيه دليل على أن التوحيد-الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه-هو أول واجب (٤٤)؛ ولهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾، وقال نوح: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾.

وفيه معنى «لا إله إلا الله» مطابقة (٤٥).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهذا خاطب الرسل أممهم مخاطبة من لا شك عنده في الله، وإنما دعوهم إلى عبادة الله وحده، لا إلى الإقرار به، فقالت لهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾، فوجوده سبحانه، وربوبيته، وقدرته أظهر من كل شيء على الإطلاق، فهو أظهر للبصائر من الشمس للأبصار، وأبين للعقول من كل ما تعقله وتقر بوجوده.

---

(٤٤) هذا من فوائد حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

أول واجب على الإنسان التوحيد، فالذي يريد أن يدخل في الإسلام عليه أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ليس كما يقول الكلام: أن الواجب عليه النظر أو الشك، يعني: ينظر في الآيات الكونية أو يشك -والعياذ في الله- ثم يدخل في التوحيد، هذا كلام باطل يخالف دعوة رسل الله أن أول واجب هو التوحيد أشهد أن لا إله إلا اله وأيضًا محمد رسول الله.

(٤٥)دلالة مطابقة في كلمة التوحيد هي النفي والإثبات، فمتى تكون لا إله إلا الله دلالتها مطابقة؟ إذا كانت دلالتها على النفي والإثبات معًا، وأما دلالة التضمن فهو الدلالة على النفي وحده أو الإثبات وحده.

فما ينكره إلا مكابر بلسانه، وقلبه، وعقله، وفطرته، وكلها تكذبه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾، إلى آخر الآيات. (٤٦).

قال شيخ الإسلام: وقد علم بالاضطرار من دين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام، وأول ما يؤمر به الخلق(٤٧): شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فبذلك يصير الكافر مسلمًا (٤٨)، والعدو وليًّا، والمباح دمه وماله معصوم الدم والمال (٤٩).

---

(٤٦) هذا من فوائد ومسائل حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذا فيه الرد على من فسَّر (لا إله إلا الله) بتوحيد الربوبية؛ لأن الرسل لم يدعوا أممهم إلى الإقرار بتوحيد الربوبية؛ لأنهم كانوا مقرين به، وإنما دعوهم إلى توحيد الألوهية.

(٤٧) هذا كما سبق في بيان أول دعوة رسل الله.

(٤٨) أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا نطق بالشهادتين من قلبه يصير مسلمًا، ووليًّا للمؤمنين، ومعصوم الدم والمال. وهذا من فضائل التوحيد.

(٤٩) كما روى البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». وقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ وَحَّدَ اللهَ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » رواه مسلم (٢٣) عن طارق بن أشيم.

ثم إن كان ذلك من قلبه فقد دخل في الإيمان [٥٠].

وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان [٥١].

قال: وأما إذا لم يتكلم بها [٥٢] مع القدرة فهو كافر باتفاق المسلمين باطنًا وظاهرًا، عند سلف الأمة وأئمتها وجماهير العلماء [٥٣]. اهـ.

---

(٥٠) يقول: (لا إله إلا الله) مع الإقرار به في قلبه، ثبت عن أَنَس بْن مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ! قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَسَعْدَيْكَ! ثَلَاثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ!»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟! قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا». وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

(٥١) هذا يحكم له بالظاهر كحال المنافقين قال الله تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١].

وهذا هو المنافق الاعتقادي، وهو الذي يقال له: زنديق.

الزنديق: هو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

(٥٢) إذا لم يتكلم بكلمة التوحيد مع قدرة النطق فهو كافر باتفاق المسلمين ظاهرًا وباطنًا.

(٥٣) أخرج بقوله: (مع القدرة) الأبكم الذي لا يستطيع النطق، ونحوه ممن عنده خلل في لسانه يمنعه من النطق بالشهادتين، فلا بد من النطق بالشهادتين للقادر، ومن لم ينطق

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: وفيه أن الإنسان قد يكون عالمًا وهو لا يعرف معنى «لا إله إلا الله»(٥٤) أو يعرفه ولا يعمل به (٥٥).

بالشهادتين مع القدرة فهو كافر ظاهرًا وباطنًا، قال سُبحَانَهُ: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف: ٨٦].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، وَصَلَّوْا صَلاتَنَا، وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا، فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» رواه البخاري (٣٩٢).

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح صحيح مسلم»(١/١٤٩): وَاتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُحْكَمُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ، لَا يَكُونُ إِلَّا مَنِ اعْتَقَدَ بِقَلْبِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ، اعْتِقَادًا جَازِمًا خَالِيًا مِنَ الشُّكُوكِ، وَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنِ اقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَصْلًا، إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ النُّطْقِ لِخَلَلٍ فِي لِسَانِهِ، أَوْ لِعَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ؛ لِمُعَاجَلَةِ الْمَنِيَّةِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا.

(٥٤) هذا استنباط من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وهذا كحال بعض علماء اليهود، فهم علماء ولكن لا يعرفون معنى لا إله إلا الله.

(٥٥) يعرف معنى لا إله إلا الله لكن لا يعمل بها، كحال بعض أهل الكتاب يعرف التوحيد ولكن لا يعمل، يشرك بالله سُبحَانَهُ، قال تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ

قلت: فما أكثر هؤلاء -لا كثَّرهم الله تعالى-.

قوله: «فإن هم أطاعوك لذلك» أي: شهدوا وانقادوا لذلك «فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات» فيه: أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين.

قال النووي ما معناه (٥٦): أنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكون إلا بعد الإسلام، ولا يلزم من ذلك ألَّا يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة، والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، وهذا قول الأكثرين (٥٧). اهـ.

يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة: ٣٠].

(٥٦) هذا يفيد أن الشارح نقل كلام الإمام النووي بالمعنى.

(٥٧) هذه مسألة تتعلق بالكفار وهي: هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة كأحكام الفقه والأوامر والنواهي أم لا؟

على قولين: والذي عليه أكثر أهل العلم أنهم مخاطبون بالفرائض، ولكن لا يطالبون بها قبل الإسلام، مثلًا: وجدنا امرأة كافرة متبرجة لا يقال لها: تستري، لا تنصح بالتستر، وإنما تنصح بالأهم وهو التوحيد الذي يقبل بوجوده العمل، قال تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ [الأنعام: ٨٨]، ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]،

قوله: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم».

فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلوات، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف إلى الفقراء.

وإنما خص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفقراء؛ لأن حقهم في الزكاة آكد من حق بقية الأصناف الثمانية (٥٨).

فما يؤتى لها بالأحكام ويترك التوحيد، النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لما أرسل هرقل قال: « فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ» رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣) عن أبي سفيان. « الأَرِيسِيِّينَ » وهم الفلاحون، فهذا أول ما يدعى به الكافر الإسلام، التوحيد، ولا يخاطبون بما يسمى بفروع الشريعة، يتعامل مثلًا: بالربا، لا يقال: حرام عليك، يعق والديه، يسبل إزاره...، أول شيء يدعى إليه الكافر هو التوحيد، ولكن كونهم لا يطالبون بالفرائض ليس معناه أنهم غير مخاطبين بفروع الشريعة، بل هم مخاطبون بها ويزداد إثمهم عليها.

(٥٨) هذا من فوائد حديث ابن عباس، أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلوات؛ لأنه جعلها في الرتبة الثالثة.

من هم مصارف الزكاة؟

هم ثمانية، قال تَعَالَى: ﴿*إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

وفيه: أن الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرفها: إما بنفسه، أو نائبه(٥٩)، فمن

---

(٥٩)مأخوذ من قوله: «تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»، وقول الله تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣]. ففي هذا أن الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وتوزيعها في مواضعها.

والأموال على قسمين: ظاهرة، وباطنة، الظاهرة: المواشي، والزروع، والثمار، هذه زكواتها تدفع لولي الأمر وخاصة إذا طلبها.

الباطنة: الذهب، والفضة، وعروض التجارة، هذه لا تدفع لولي الأمر إلا إذا طالب بزكاتها فتؤدى له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩].

وبتعبيرٍ آخر:

الأموال التي فيها زكاة على قسمين: ناطق، وصامت، الناطق: الذي ينطق وهي المواشي، والصامت: الذهب والفضة، وقد جاء الصامت في حديث عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ الغُلُولَ فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، قَالَ: «لا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ، أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ

امتنع عن أدائها إليه أُخِذت منه قهرًا(٦٠).

وفي الحديث دليل على أنه يكفي إخراج الزكاة في صنف واحد، كما هو مذهب مالك وأحمد (٦١).

اللَّهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ» رواه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

(٦٠) قوله: (قهرًا) والدليل قول أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا». قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ» رواه البخاري (١٣٩٩).

واستفدنا من والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ: أن من أُخِذت منه قهرًا تجزئُه ولكن لا يكون له فيها أجر؛ لأن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧) عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما حديث: «مَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ، عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ»، زيادة أخذ شطر المال هذا لا يصح؛ أُنْكِرَ على بهز بن حكيم.

(٦١) هذه مسألة فقهية إن أحب أن يعطي زكاته لنوع واحد من هذه الأصناف فله ذلك، مأخوذ من لفظة «فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم».

وفيه: أنه لا يجوز دفعها إلى غني(٦٢) ولا إلى كافر (٦٣) غير المؤلَّفِ (٦٤)، وأن الزكاة

---

(٦٢) هذه مسألة أيضًا فقهية: أن الزكاة لا تدفع لغني؛ لأنه نص على الفقير، وروى أحمد(٦٥٣٠) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِغَنِيٍّ، وَلَا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ»، أي: سوي الأعضاء، والحديث في «الصحيح المسند» (١٤٩٧) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٦٣) لا يجوز أن تدفع الزكاة لكافر إلا المؤَلَّف كما سيأتي بعد هذا؛ مأخوذ من قول النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «على فقرائهم»، أي: فقراء المسلمين.

(٦٤) قال تَعَالَى: ﴿*إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٦٠].

فإذا كان الكافر من المؤلفة قلوبهم يجوز أن تدفع إليه، مثلًا: يعطى ليحبِّب إليه الإسلام؛ فإن المال مؤثر، أو لدفع شره وضرره عن المسلمين، يعني: يُعطى لاتقاء شره، أو ليسلم نظيره؛ فقد لا يتأثر المعطَى ولكن نظيره -وهو المساوي له- يرى العطاء الذي يصل إلى نظيره الكافر فيسلم، أو ليدفع عن المسلمين الشر والضرر-إذا كان عندهم ضعف-، مثلًا: هناك دولة كافرة عظمى فتُعطى؛ لتدافع عن المسلمين.

وإليكم كلام الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية(٦٠) من سورة التوبة:

أَمَّا الْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ: فَأَقْسَامٌ: مِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى؛ لِيُسلم، كَمَا أَعْطَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِنْ غَنَائِمِ حُنَيْنٍ، وَقَدْ كَانَ شَهِدَهَا مُشْرِكًا. قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُعْطِينِي حَتَّى صَارَ أحبَّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَيَّ.

واجبة في مال الصبي والمجنون، كما هو قول الجمهور؛ لعموم الحديث (٦٥).

وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى؛ ليحسُن إِسْلَامُهُ، وَيَثْبُتَ قَلْبُهُ، كَمَا أَعْطَى يَوْمَ حُنَيْنٍ أَيْضًا جَمَاعَةً مِنْ صَنَادِيدِ الطُّلَقَاءِ وَأَشْرَافِهِمْ: مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ وَقَالَ: «إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَكُبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

وَمِنْهُمْ مَنْ يُعطَى؛ لِمَا يُرْجَى مِنْ إِسْلَامِ نُظَرَائِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُعطَى؛ لِيَجْبِيَ الصَّدَقَاتِ مِمَّنْ يَلِيهِ.

أَوْ لِيَدْفَعَ عَنْ حَوزة الْمُسْلِمِينَ الضَّرَرَ مِنْ أَطْرَافِ الْبِلَادِ.

(٦٥) لعموم الحديث، ولا يقال: واجبة على الصبي والمجنون؛ لأنهما غير مكلفين، ولكن يقال: واجبة في مال الصبي والمجنون؛ لأنه حق للفقراء.

قلت: والفقير إذا أُفرِد في اللفظ تناول المسكين وبالعكس [٦٦]، كنظائره[٦٧]، كما قرره شيخ الإسلام.

قوله: «إياك وكرائم أموالهم» بنصب «كرائم» على التحذير[٦٨]، وجمع كريمة.

---

(٦٦) العكس: القلب.

أي: إذا أفرد المسكين شمل الفقير، فإذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا،

وإذا اجتمع الفقير والمسكين اختلفوا فيه:

فذهب بعضهم إلى أن المسكين أخف حالًا من الفقير؛ لأن:

المسكين عنده شيء لكنه لا يكفيه. لقوله تعالى ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩]، فَسَمَّاهُمْ مَسَاكِينَ مَعَ أَنَّ لَهُمْ سَفِينَةً يَعْمَلُونَ فِيهَا.

والفقير: هو الذي لا شيء له. وهذا قول الجمهور.

وذهب بعضهم إلى أن المسكين أشد من الفقير؛ لأن:

المسكين: هو الذي لا شيء له. قال تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ [البلد: ١٦].

وهذا قول أبي حنيفة.

وهو قول والدي.

وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ وَأَصْحَابُ مَالِكٍ: إِنَّهُمَا سَوَاءٌ.

يراجع: «نيل الأوطار» (٤/ ١٨٨).

(٦٧) كالإسلام والإيمان، والتوبة والاستغفار، والبر والتقوى، والعفو والمغفرة.

(٦٨) أي: احذروا، والعرب عندهم صيغ للتحذير وصيغ للإغراء.

قال صاحب «المطالع»: هي الجامعة للكمال الممكن في حقها، من غزارة لبن، وجمالِ صورة، وكثرةِ لحم وصوفٍ، ذكره النووي.

قلت: وهي خيار المال وأنفسه، وأكثره ثمنًا.

وفيه: أنه يحرم على العامل في الزكاة أخذ كرائم المال.

ويحرم على صاحب المال إخراج شرار المال، بل يخرج الوسط، فإن طابت نفسه بالكريمة جاز.

قوله: «واتق دعوة المظلوم» أي: اجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم، وهذان الأمران (٦٩) يقيان من رُزِقَهما من جميع الشرور دنيا وأخرى.

وفيه: تنبيه على التحذير من جميع أنواع الظلم.

(التحذير: تنبيه المخاطب على أمر مكروه؛ ليجتنبه.

والإغراء: تنبيهه على أمر محمود؛ ليفعله) ما بين القوسين من «شرح الأشموني»(٣/ ٨٤).

فإن جاءت في محظور فهي للتحذير، وهذا مثل إياك، قال ابن مالك:

إياك والشرَّ ونحوَه نَصَبْ ... مُحذِّرٌ بما استتارُه وَجَبْ

وإن جاءت في مأمور فهي للطلب. مثل: الدرسَ الدرسَ.

(٦٩) أي: العدل وترك الظلم، وديننا دين العدالة، وهذا من محاسن هذا الدين الإسلامي.

وكان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحدث عن العدالة في صوتية له، فقال: رُبَّ ملك يدوم ملكه ولو كان كافرًا؛ لعدالته.

قوله: «فإنه» أي: الشأن، «ليس بينها وبين الله حجاب» هذه الجملة مفسرة لضمير الشأن، أي: فإنها لا تحجب عن الله فيقبلها.

وفي الحديث أيضًا: قبول خبر الواحد العدل(٧٠)، ووجوب العمل به(٧١)، وبعث الإمامِ العمالَ لجباية الزكاة، وأنه يعظ عماله وولاته، ويأمرهم بتقوى الله تعالى ويعلمهم، وينهاهم عن الظلم، ويعرفهم سوء عاقبته، والتنبيه على التعليم بالتدريج (٧٢). قاله المصنف.

قلت: ويبدأ بالأهم فالأهم.

واعلم أنه لم يذكر في الحديث الصوم والحج، فأشكل ذلك على كثير من العلماء (٧٣).

---

(٧٠) هذه جملة من الفوائد والفائدة الأخيرة من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومسألة قبول الواحد العدل من أي موضع في الحديث مأخوذ؟

بعث النّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ معاذًا وهو واحد.

(٧١) أي: وجوب العمل بخبر الواحد. وخالف فيه المعتزلة الذين يردون خبر الآحاد.

(٧٢) هذا الحديث فيه التدريج في التعليم شيئًا شيئًا، فالعلم لا يكون دفعة واحدة، وفيه أيضًا البدء بالأهم؛ كالتوحيد والعقيدة.

(٧٣) حديث ابن عباس فيه إشكال؛ لأنه لم يُذكر فيه الصوم والحج، مع أنه كان في آخر زمن النّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة وهنا في الشرح ثلاثة أجوبة.

قال شيخ الإسلام: أجاب بعض الناس: أن بعض الرواة اختصر الحديث [٧٤]، وليس كذلك. فإن هذا طعنٌ في الرواة؛ لأن ذلك إنما يقع في الحديث الواحد، مثل حديث وفد عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام، وبعضهم لم يذكره، فأما الحديثان المنفصلان فليس الأمر فيها كذلك، ولكن عن هذا جوابان:

أحدهما: أن ذلك بحسب نزول الفرائض[٧٥]، وأول ما فرض الله الشهادتين ثم الصلاة، فإنه أمر بالصلاة في أول أوقات الوحي؛ ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعامة الأحاديث، إنما جاء في الأحاديث المتأخرة.

قلت: وهذا من الأحاديث المتأخرة، ولم يذكر فيها.

الجواب الثاني: أنه كان يذكر في كل مقام ما يناسبه [٧٦]. فيذكر تارة الفرائض التي

---

(٧٤)هذا قول ابن الصلاح كما في «فتح الباري». وانتُقد عليه بأنه: (طعنٌ في الرواة؛ لأن ذلك إنما يقع في الحديث الواحد).

(٧٥) الجواب الثاني: أنه لم يذكر الصوم والحج؛ لأن هذا بحسب نزول الفرائض، أي: أن هذا كان قبل أن يُفرض صوم رمضان والحج، ولكن هذا الحديث كان في أواخر عمر النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في السنة العاشرة؛ ولهذا يقول الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهذا من الأحاديث المتأخرة، ولم يذكر فيها) فهذا الجواب أيضًا منتقد.

(٧٦) الثالث: أن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يذكر في كلِّ مقام ما يناسبه على حسب حاجة السائل، فمن كان يناسبه الصوم ذكره له، ومن كان يناسبه الحج ذكر له ذلك، فيكون هذا حسب مخاطبة الناس.

يقاتل عليها: كالصلاة، والزكاة، ويذكر تارة الصلاة والصيام لمن لم يكن عليه زكاة، ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم، فإما أن يكون قبل فرض الحج، وإما أن يكون المخاطَب بذلك لا حج عليه.

وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض؛ ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه القتال عليهما (٧٧)؛ لأنهما عبادتان ظاهرتان.

بخلاف الصوم فإنه أمر باطن من جنس الوضوء والاغتسال من الجنابة، ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد؛ فإن الإنسان يمكنه ألَّا ينوي الصوم وأن يأكل سرًّا، كما يمكنه أن يكتم حَدَثَهُ وجنابته، وهو يَذكر في الأعمال الظاهرة التي يقاتل الناس عليها ويصيرون مسلمين بفعلها؛ فلهذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم، وإن كان واجبًا كما في آيتَي براءة؛ فإن براءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس.

وكذلك لما بعث معاذًا إلى اليمن لم يذكر في حديثه الصوم؛ لأنه تبع (٧٨) وهو باطن

---

(٧٧) في آيتين من سورة براءة: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [التوبة: ٥]، والأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [التوبة: ١١].

(٧٨) لأنه تبع لما قبله وهو الصلاة؛ فهما عبادتان بدنيتان.

(٧٩).

ولا ذكر الحج؛ لأن وجوبه خاص ليس بعام (٨٠)، ولا يجب في العمر إلا مرة. انتهى بمعناه.

قوله: «أخرجاه» أي: البخاري ومسلم، وأخرجه أيضًا أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولهما عن سهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غدًا رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه»، فبات الناس يَدُوكون ليلَتهم، أيُّهم يُعطاها؟ فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقيل: هو يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه فأتي به، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، قال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعم».

«يَدُوكون» أي: يخوضون.

---

(٧٩) الصيام أمر باطن خفي وليس بظاهر؛ لأنه بين العبد وبين ربه، بخلاف الصلاة والزكاة فإنهما عبادتان ظاهرتان.

(٨٠) خاص بالمستطيع، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

ش/قوله: «عن سهل بن سعد» أي: ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العباس صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضًا، مات سنة ثمان وثمانين، وقد جاوز المائة.

قوله: «قال يوم خيبر» وفي «الصحيحين» عن سلمة بن الأكوع قال: كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تخلف عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خيبر، وكان أرمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فخرج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلحق بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله عَزَّوَجَلَّ في صباحها، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأعطين الراية-أو ليأخذن الراية-غدًا رجل يحبه الله ورسوله، أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه». فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الراية ففتح الله عليه.

قوله: «لأعطين الراية» قال الحافظ: في رواية بريدة: «إني دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله»، وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما(٨١)، ولكن روى أحمد والترمذي

---

(٨١) أي: بترادف الراية واللواء، وأنهما بمعنى واحد، والروايات في قصة علي بن أبي طالب جاءت بهذا وهذا، فحديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهما متفق عليهما فيهما: «الراية»، وفي حديث بريدة بن الحصيب جاء بلفظ: «اللواء» وهو «إني دافع اللواء إلى رجل يحبه الله ورسوله».

وحديث بريدة ذكره والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

من حديث ابن عباس: كانت راية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوداء، ولواؤه أبيض.

ومثله عند الطبراني عن بريدة، وعند ابن عدي عن أبي هريرة وزاد: مكتوب فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قوله: «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فيه فضيلة عظيمة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨٢).

قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصًّا بعلي ولا بالأئمة؛ فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله (٨٣)، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على

وممن صرَّح من أهل اللغة أنهما بمعنى واحد ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ فقد قال في «النهاية»(٤/٢٧٩): اللِّوَاء: الرَّايَة، وَلَا يُمْسِكُها إلَّا صاحبُ الجَيْش. اهـ.

ويقال: العلم، وكل هذا لمسمى واحد، أما ما جاء في بعض الأحاديث من التفرقة وهو حديث ابن عباس وما في معناه: «كانت راية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سوداء، ولواؤه أبيض». فهذا حديث ضعيف.

(٨٢)مأخوذ من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ «يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» وهذه فضيلة عظيمة.

(٨٣) قال تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾ [المائدة: ٥٤]، فهذا الوصف عام لكل مؤمن تقي ولكن تخصيص علي بن أبي طالب بهذا الوصف في الحديث يدل على فضيلة له، ولهذا نظائر، يكون الحديث عامًّا ثم يأتي الوصف لبعض الصحابة فيكون فيه فضيلة له؛ لأنه نص عليه، ومنه قول النَّبِيّ

النواصب [٨٤] الذين لا يتولونه، أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج.

لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم[٨٥]؛ فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك، ولكن هذا باطل؛

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ» رواه أحمد (٣٨/ ٣٢) عَنْ بُرَيْدَةَ، وهو في «الصحيح المسند» (١٥٠) لوالدي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٨٤) النواصب: الذين ينصبون العداء لأهل البيت كالخوارج، فهذا الحديث من أحسن الردود عليهم؛ لإثبات فضيلة عظيمة لعلي، وهو أنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

(٨٥) هذا يقوله الرافضة، إذا استدل مستدل بأدلة فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]الآيات. إلى آخر الأدلة، إذا استدل مستدل بفضائل الصحابة يجيب الروافض: هذا قبل أن يرتد الصحابة، فالخوارج ، كذلك تقول، أن الأدلة التي جاءت في فضل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانت قبل أن يرتد، فهذا الاحتجاج به على فضيلة علي بن أبي طالب على النواصب لا يتم على قول الرافضة، وإنما يستقيم الاستدلال به لأهل السنة؛ لأنهم يشهدون بعدالة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبعدالة علي بن أبي طالب، وفضائلهم العظيمة، أما هاتان الطائفتان الضالتان الروافض والخوارج فلا يستقيم لهم الاستدال بهذا الحديث؛ لأن الخوارج ستعترض على الرافضة بأن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد ارتد كما يقول الرافضة في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أنهم ارتدوا بعد وفاة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والرد

فإن الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافرا.

وفيه: إثبات صفة المحبة لله خلافًا للجهمية ومن أخذ عنهم.

قوله: «يفتح الله على يديه» صريح في البِشارة بحصول الفتح، فهو علم من أعلام النبوة(٨٦).

قوله: «فبات الناس يدوكون ليلتهم» بنصب «ليلتهم»، و «يدوكون».

قال المصنف: يخوضون. أي: فيمن يدفعها إليه.

وفيه: حرص الصحابة على الخير واهتمامهم به، وعلو مرتبتهم في العلم والإيمان.

قوله: «أيهم» هو برفع «أي» على البناء؛ لإضافتها، وحذف صدر صلتها (٨٧).

عليهم هنا من كلام شيخ الإسلام: (ولكن هذا باطل)، أي: قول الخارج باطل، (فإن الله تعالى ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافرا) هذا جواب عن هذه الشبهة، وهذا منتشر عند الفرقة الضالة التي يقال لها: العباهلة الأقيال، يتكلمون في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل ويكفرونه، ويجيبون عن فضائل علي بن أبي طالب بنفس هذه الشبهة أن هذا قبل أن يرتد.

والجواب عنهم: أن الله عَزَّ وَجَلَ لم يطلق هذا المدح على من مات كافرًا.

والحمد لله الذي وفقنا وهدانا للسنة، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(٨٦) لأنه وقع ما أخبر به النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفتحت خيبر على يدي علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨٧) هذا إعراب «أيهم يعطاها»، أي: اسم موصول بمعنى: الذي، وهو مبني؛ لتوفر شرطين فيه: الإضافة إلى الضمير «أيهم»، وحذف صدر الصلة، تقدير الكلام: أيهم هو

قوله: «فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كلهم يرجو أن يعطاها».

وفي رواية أبي هريرة عند مسلم أن عمر قال: «ما أحببت الإمارة إلا يومئذ».

قال شيخ الإسلام: إن في ذلك شهادة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لعلي بإيمانه باطنًا وظاهرًا، وإثباتًا لموالاته لله تعالى ورسوله، ووجوب موالاة المؤمنين له.

وإذا شهد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لمعين بشهادة أو دعا له أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ومثل ذلك الدعاء (٨٨)، وإن كان النبي يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو لخلق كثير، وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس وعبد الله بن سلام وإن كان شهد بالجنة

يعطاها؟ مثل قوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾ [مريم: ٦٩]، ففي هذه الحالة تبنى، أي: إذا أضيفت، وحذف صدر صلتها، وفي بقية حالتها تكون معربة كما قال ابن مالك رَحِمَهُٱللَّهُ:

أَيٌّ كَمَا وأُعْرِبَتْ مَا لَمْ تُضَفْ... وَصَدْرُ وَصْلِهَا ضَمِيرٌ انْحَذَفْ

(٨٨) وهذا من تنافس الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ على الخير وحرصهم عليه.

فإذا شهد النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ لمعين بالجنة أو بفضيلة، كالإيمان لما شهد النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ لعمرو وأخيه هشام، فقال: «ابْنَا الْعَاصِ مُؤْمِنَانِ: عَمْرٌو وَهِشَامٌ» رواه أحمد (٨٠٤٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وهو في «الجامع الصحيح» لوالدي (١٣٤٤). ومثل هذا الحديث في قصة علي بن أبي طالب، فيحب الصحابة أن ينالوا مثل تلك الشهادة، أو ذلك الدعاء إذا دعا لأحد من الصحابة.

لآخرين، والشهادة بمحبة الله ورسوله للذي ضرب في الخمر (٨٩).

قوله: «فقال أين علي بن أبي طالب» فيه سؤال الإمام عن رعيته، وتفقد أحوالهم (٩٠).

---

(٨٩) هذه أمثلة لمن شهد له النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالجنة أو بفضيلة كشهادته للذي ضرب بالخمر روى البخاري (٦٧٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ، قَالَ: «اضْرِبُوهُ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ! قَالَ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا؛ لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ»، فرضي الله عن صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ما أشد حرصهم وتنافسهم في الخير!

(٩٠) هذا الحديث من أدلة تفقد الإمام رعيته، وهذا من هدي النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ فلم يُثْنِهِ شواغل الدولة والعبادة والوحي عن تفقده لرعيته وأحوال أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن أمثلته أيضًا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ-أَوْ شَابًّا-فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَ عَنْهَا-أَوْ عَنْهُ-فَقَالُوا: مَاتَ، قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي» قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا-أَوْ أَمْرَهُ-فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ» فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا» رواه البخاري (١٣٣٧)، ومسلم (٩٥٦).

ومن ذلك قصة جليبيب روى مسلم (٢٤٧٢) عَنْ أَبِي بَرْزَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي مَغْزًى لَهُ فَأَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟». قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟». قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا. ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟». قَالُوا: لَا. قَالَ: «لَكِنِّي أَفْقِدُ

قوله: «فقيل: هو يشتكي عينيه» أي من الرمد، كما في «صحيح مسلم» عن سعد بن أبي وقاص فقال: «ادعوا لي عليًّا فأتي به أرمد». الحديث.

وفي نسخة صحيحة بخط المصنف: «فقيل: هو يشتكي عينيه، فأَرسَل إليه» مبني للفاعل (٩١)، وهو ضمير مستتر في الفعل راجع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن يكون مبنيًّا لما لم يسم فاعله (٩٢).

ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: «فأرسلني إلى علي فجئت به أقوده أرمد».

قوله: «فبصق» بفتح الصاد، أي تفل.

قوله: «ودعا له فبرأ» هو بفتح الراء والهمزة، أي عوفي في الحال، عافية كاملة، كأن لم

جُلَيْبِيبًا فَاطْلُبُوهُ». فَطُلِبَ فِي الْقَتْلَى، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ، قَدْ قَتَلَهُمْ ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَأَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «قَتَلَ سَبْعَةً ثُمَّ قَتَلُوهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ! هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ!». قَالَ: فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَحُفِرَ لَهُ وَوُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ غَسْلًا. وهذا من واجب ولي الأمر، وقد يسر الله بجملة من الأدلة في كتابي «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية».

(٩١) مبني للفاعل، وهو ضمير مستتر أي: الفاعل في «أَرسل» ضمير مستتر يعود على النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٩٢) أي: فَأُرْسِلَ إليه.

يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر.

وعند الطبراني من حديث علي: «فما رمدت ولا صُدِّعْتُ منذ دفع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلي الراية».

وفيه دليل على الشهادتين (٩٣).

قوله: «فأعطاه الراية» قال المصنف (٩٤): فيه الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع، ومنعها عمن سعى» (٩٥).

وفيه: أن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافي التوكل (٩٦).

قوله: «وقال: انفذ على رسلك» بضم الفاء. أي امض.

و «رسلك» بكسر الراء وسكون السين، أي على رفقك من غير عجلة.

و «ساحتهم» فناء أرضهم، وهو ما حولها.

---

(٩٣) مأخوذ من حديث سهل بن سعد: «ثم ادعهم إلى الإسلام».

(٩٤) محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٩٥) الحديث فيه الإيمان بالقدر؛ لأن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يسع كما سعى إليها الصحابة، الصحابة سعوا فلما أصبحوا غدو كلهم يرجو أن يعطاها، وهذا من تنافسهم في الخير، ولكن نالها الذي لم يسع والذي كان في مكانه، وهو علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فهذا الحديث فيه التربية على الإيمان بالقدر.

(٩٦) بل هو من التوكل، بذل الأسباب من التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والدليل هنا أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بذلوا السبب وسعوا في حصول دفع الراية إليهم.

وفيه: الأدب عند القتال وترك العجلة والطيش، والأصوات التي لا حاجة إليها.

وفيه: أمر الإمام عماله بالرفق من غير ضعف ولا انتقاض عزيمة، كما يشير إليه قوله: «ثم ادعهم الى الإسلام» أي: الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإن شئت قلت: الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وما اقتضته الشهادتان من إخلاص العبادة لله وحده، وإخلاص الطاعة له ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن هنا طابق الحديث الترجمة (٩٧) كما قال تعالى لنبيه ورسوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والإسلام هو الاستسلام لله، وهو الخضوع له والعبودية له. كذا قال أهل اللغة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: ودين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو: الاستسلام له وحده، فأصله في القلب. والخضوع له وحده بعبادته وحده دون ما سواه.

فمن عبده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلما.

---

(٩٧) ترجمة هذا الباب (باب الدعاء إلى شهاد أن لا إله إلا الله) فتفسير «ثم ادعهم إلى الإسلام» بالشهادتين يطابق الترجمة على هذا الحديث، بمعنى: يوافق الترجمة.

ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما.

وفي الأصل: هو من باب العمل [٩٨]، عمل القلب والجوارح.

وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته، فهو من باب قول القلب [٩٩] المتضمن عمل القلب [١٠٠]. انتهى.

فتبين أن أصل الإسلام هو التوحيد ونفي الشرك في العبادة وهو دعوة جميع المرسلين، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة فيما أمرهم به على ألسن رسله، كما قال تعالى عن نوح أول رسول أرسله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾.

وفيه: مشروعية الدعوة قبل القتال، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغار على بني المصطلق وهم غارُّون. وإن كانوا لم تبلغهم الدعوة وجبت دعوتهم [١٠١].

قوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه» أي: في الإسلام إذا أجابوك

---

(٩٨) أي: الإسلام.

(٩٩) هذا في الإيمان قول القلب تصديقه.

(١٠٠) عمل القلب حركته إلى العمل كالخوف والرجاء والمحبة والإنابة.

(١٠١) هذا فيه مشروعية الدعوة قبل القتال؛ لأن في الحديث «فادعوهم إلى الإسلام»، ففيه الدعوة قبل القتال، فإن كانوا قد بلغتهم الدعوة فيجوز قتالهم ابتداء من غير إعادة الدعوة لهم مرة ثانية؛ لأن النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أغار على بني المصطلق وهم غارُّون؛ لأنهم كانوا قد بلغتهم الدعوة.

إليه، فأخبرهم بما يجب من حقوقه التي لا بد لهم من فعلها: كالصلاة والزكاة، كما في حديث أبي هريرة: «فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»، ولما قال عمر لأبي بكر في قتاله مانعي الزكاة: «كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها.

قال أبو بكر: فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقاتلتهم على منعها».

وفيه: بعث الإمام الدعاة إلى الله تعالى، كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاؤه الراشدون يفعلون، كما في «المسند» عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في خطبته: «ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم؛ ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم؛ ليعلموكم دينكم وسننكم» (١٠٢).

قوله: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» «أن» مصدرية واللام قبلها مفتوحة لأنها لام القسم، و «أن» والفعل بعدها في تأويل مصدر، رفع على الابتداء، والخبر «خير».

و«حمر» بضم المهملة وسكون الميم، جمع أحمر.

و «النعم» بفتح النون والعين المهملة، أي: خير لك من الإبل الحمر، وهي أنفس أموال

---

(١٠٢) هذا واضح؛ لأن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أرسل عددًا من رسله؛ ليدعوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

العرب.

قال النووي: وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام؛ وإلا فذرة من الآخرة خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها (١٠٣).

وفيه: فضيلة من اهتدى على يديه رجل واحد.

وجواز الحلف على الخبر والفتيا ولو لم يستحلف (١٠٤).

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٠٥).

الثانية: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيرا من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه (١٠٦).

---

(١٠٣) مأخوذ من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «خير لك من حمر النعم»، وإلا فلا مقارنة بين نعيم الآخرة ونعيم الدنيا، ولو لم يكن إلا أن نعيم الدنيا فانٍ زائل، ونعيم الآخرة باقٍ دائم، قال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ (٥٤) ﴾[ص].

(١٠٤) فهذا جائز له أن يحلف لتأكيد الكلام أو تأكيد صحة الفتوى ولو لم يُطلب منه اليمين.

(١٠٥) مأخوذ من قوله تَعَالَى:﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(١٠٦) مأخوذ من قوله تَعَالَى: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وتقدم هذا الاستنباط في هذا الباب.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: أنه تنزيه الله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة:-وهي أهمها-إبعاد المسلم عن المشركين؛ لئلا يصير منهم، ولو لم يشرك (١٠٧).

السابعة: كون التوحيد أول واجب (١٠٨).

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة (١٠٩).

التاسعة: أن معنى «أن يوحدوا الله» معنى: شهادة أن لا إله إلا الله(١١٠).

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها (١١١).

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

---

(١٠٧) تقدمت هذه المسائل في هذا الباب.

(١٠٨) مأخوذ من حديث ابن عباس «فليكن أول ما تدعوهم إليه..».

(١٠٩)مأخوذ من حديث ابن عباس أنه بدأ بالتوحيد ثم قال: «فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس..».

(١١٠) جاءت رواية «أن يوحدوا الله»، وجاءت روايات بلفظ «شهادة أن لا إله إلا الله»، ومعناهما واحد، وهذا من تفسير الروايات بعضها بعضًا.

(١١١) تقدم.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة (١١٢).

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم (١١٣).

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال (١١٤).

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب (١١٥).

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء (١١٦).

---

(١١٢) مأخوذ من قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تؤخذ من أغنيائهم.. ».

(١١٣) حيث بيَّن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مصرف الزكاة، وبيَّن أيضًا أنه سيأتي قومًا أهل كتاب، فينبغي أن يعرف حال المدعوِّين، وأن العالم يبيِّن للمتعلم ما يحتاج إليه.

(١١٤) مأخوذ من قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «وإياك وكرائم أموال الناس».

(١١٥) مأخوذ من آخر الحديث.

(١١٦) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «القول المفيد»(١/ ٢٩٤): والظاهر أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يريد الإشارة إلى قصة خيبر؛ إذ وقع فيها في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جوع عظيم، حتى إنهم أكلوا الحمير والثوم، وأما الوباء فهو ما وقع في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما المشقة فظاهرة، ووجه كون ذلك من أدلة التوحيد: أن الصبر والتحمل

التاسعة عشرة: قوله: «لأعطين الراية» الخ، علم من أعلام النبوة (١١٧).

العشرون: تفله في عينيه علم من أعلامها أيضًا (١١٨).

الحادية والعشرون: فضيلة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (١١٩).

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح (١٢٠).

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر؛ لحصولها لمن لم يسع لها، ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: «على رسلك» (١٢١).

في مثل هذه الأمور يدل على إخلاص الإنسان في توحيده، وأن قصده الله، ولذلك صبر على البلاء.

(١١٧) كما تقدم؛ لأنه وقع طبق ما أخبر به النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ من الفتح على يد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١١٨) هذا أيضًا من أعلام النبوة؛ لأن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تفل في عيني علي بن أبي طالب وشفاه الله.

(١١٩) مأخوذ من قول النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «يحب الله ورسوله.. ».

(١٢٠) لأن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ذكر أن الذي يفتح الله على يديه رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله، فتنافس الصحابة لهذه الفضيلة، وشُغلوا عن بِشارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بفتح خيبر.

(١٢١) فيه الأمر بالرفق وعدم العجلة.

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال (١٢٢).

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا (١٢٣).

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله: «أخبرهم بما يجب عليه من حق الله تَعَالَى فيه».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام (١٢٤).

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد (١٢٥).

الثلاثون: الحلف على الفتيا (١٢٦).

---

(١٢٢) لأن النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «ثم انزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام..».

(١٢٣) أي: الدعوة مشروعة، هذا مأخوذ من أمر النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عليًّا أن يدعوهم، قال: «ثم ادعهم إلى الإسلام»، مع أن اليهود قد دُعوا إلى الإسلام وقوتلوا لما كانوا في المدينة قبل أن يجليهم النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(١٢٤) وهذا مأخوذ من جملة «وأخبرهم بما يجب عليهم.. ».

(١٢٥) هذا من أدلة فضل الدعوة والتعليم.

(١٢٦) مأخوذ من قول النّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: « فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من حُمر النَّعم».

وبهذا ينتهي درس (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)، ونسأل الله التوفيق والسداد.

تَمَّ نشرُ هذا الدرسِ بتاريخ

٥/١٢/١٤٤٦هـ.